هوامش

يوم الأربعاء الماضي، انطلقت فعاليات الاحتفال بمولد السيدة نفيسة في القاهرة، إذ تتجمّع وفود من مريدي الطرق الصوفية في مصر

في هذا الأسبوع تنتشر خيمات الطرق الصوفية وحلقات الذكر في الميدان المجاور للجامع (فياض الجزيري/ Getty)

مولد السيدة نفيسة

ابتكار المماليك منذ 6 قرون للدعاية السياسية

ياسر غريب

بدأ الاحتفال السنوي بمولد السيدة نفيسة بالقاهرة، يوم الأربعاء الماضي، بمشاركة وفود من مريدي جميع الطرق الصوفية في مصر الذين حضروا إلى المنطقة المحيطة بالمسجد ليقيموا فيها الليالي ذوات العدد، حيث يستمر المولد لمدة أسبوع كامل إلى أن تقام الليلة الكبيرة باحتفال ضخم يوم الثلاثاء 11 يناير/ كانون الثاني. في هذا الأسبوع تنتشر خيمات الطرق الصوفية وحلقات الذكر في الميدان المجاور للجامع، وعلى هامشها تكثر الأطعمة والوجبات المجانية والذبائح والنذور، وينتشر الباعة الجائلون والألعاب الشعبية، بينما تشهد الليلة الختامية دعوة كبار المنشدين مثل الشيخ ياسين التهامي ومحمود التهامي في الخيمة الرئيسية للمولد حيث تجتمع أفواج من الناس لحضور الليلة الكبيرة.

نفيسة العلم

على كثرة ما يروى عن أصحاب المشاهد الصوفية، فإن المشهور عن صاحبة هذا المشهد، أنها بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب. عاشت السيدة نفيسة بين سنتي 145 و208، ولقبها الناس في عصرها باسم «نفيسة العلم» لارتباطها بمجالس العلم تعلماً في المدينة المنورة وتعليماً في القاهرة. تزوجت إسحق المؤتمن بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وأنجبت له القاسم وأم كلثوم. انتقلت للحياة في مصر سنة 193هـ، وحين انتقل الإمام محمد بن إدريس الشافعي (150-204هـ) إلى مصر أيضاً سنة 189هـ توثقت صلته بها، كما أنها نفذّت وصيته بالصلاة عليه عند وفاته، وذكر المقريزي أنها توفيت في زمن الوالي العباسي لمصر عبيد الله بن السري الذي اهتم بها في حياتها وشيّد قبرها.

توجد العديد من المؤلفات التي خصصت موضوعها للحديث عن حياة ومناقب السيدة نفسية مثل كتاب «السيدة نفيسة بنت سيدي حسن الأنور» لأحمد الشهاوي سعد، و«مآثر السيدة نفيسة رضي الله عنها» لرمضان أحمد عصفور، و«الجواهر النفيسة في مناقب السيدة نفيسة» لمحمد بن عبد الخالق بن حسن وغيرها من الكتب، لكن أطرف عناوين الكتب التي اتخذت من السيدة نفيسة موضوعاً لها كتاب «محاكمة مبارك.. بشهادة السيدة نفيسة» لضحى عاصي، وهو دراسة اجتماعية أنثروبولوجية كان الهدف منها رصد التغيرات الاجتماعية التي طرأت على المجتمع المصري من خلال قراءة الرسائل التي يضعها الناس في أضرحة الأولياء سواء أكانت تغيرات في الوعي أم في الاحتياجات أم في طبيعة المشكلات أم في الطلبات.

تجديدات المشهد

يقع مسجد وضريح السيدة نفيسة في حي الخليفة (درب السباع سابقاً) جنوب القاهرة، ويطلق الناس على الطريق الذي يقع فيه اسم «طريق آل البيت» لما يضمه من مساجد ومقامات شهيرة مثل مشهد الإمام علي زين العابدين، والسيدة زينب بنت علي، والسيدة سكينة بنت الحسين، والسيدة رقية بنت علي، والإمام محمد بن جعفر الصادق، والسيدة عاتكة عمة الرسول. أعاد الفاطميون بناء القبر في زمن المستنصر بالله (420-487هـ) وأضافوا إليه قبة، ودوّنوا ذلك على لوح رخامي وضع على باب الضريح. وفي عهد الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله (467-544هـ) أعيد تجديد تلك القبة بعد أن أصابتها الشروخ والتصدعات، ثم كُسي المحراب بالرخام وذلك سنة 532هـ (1138م). وفي عهد الأمير عبد الرحمن كتخدا (وفاته سنة 1190هـ - 1776م) الوالي العثماني على مصر أعيد تجديد المشهد، حيث بني الضريح على هذه الهيئة التي هو عليها الآن. كما جُددت المقصورة النحاسية الموجودة بالضريح في عهد والي مصر عباس الأول (1813-1854م). وللمسجد مدخل للرجال وآخر للنساء، وقد تم تجديد المدخلين حديثاً، وفرش المسجد بالرخام الفاخر. وفي داخل المسجد يوجد ممر طويل يصل إلى الضريح ويضم الممر لوحات نقشت عليها عبارات وأشعار في مدح أهل البيت.

مولد السلطة

يمتاز تاريخ مولد السيدة نفسية عن غيره من الموالد الشعبية بأنه بدأ بقرار رسمي من السلطة الحاكمة في العصر المملوكي في إطار الدعاية السياسية، ووفقاً للمؤرخ القاهري ابن إياس الحنفي (1448-1524م) في كتابه «بدائع الزهور في وقائع الدهور» فقد صدر مرسوم سلطاني من السلطان قيتباي سنة (889هـ-1484م) بعمل مولد السيدة نفيسة وطلب من الخليفة العثماني «الصوري» أن يحضر ومعه القضاة الأربعة وأعيان الناس، وأن يجتمع هناك قراء البلد قاطبة، ومدّت أسمطة حافلة بالطعام والشراب، وصار الناس يطلقون عليه مولد الخليفة. وكان الخليفة وفق هذا التاريخ هو المتوكل على الله عبد العزيز بن يعقوب (1416-1497م). ومنذ ذلك الحين لم تتخل أي سلطة حكمت مصر عن فكرة الاحتفال بهذا المولد!

باختصار

عاشت السيدة نفيسة بين سنتي 145 و208، ولقبها الناس في عصرها باسم «نفيسة العلم» لارتباطها بمجالس العلم

■■■

توجد العديد من المؤلفات التي خصصت موضوعها للحديث عن حياة ومناقب السيدة نفيسة مثل كتاب «السيدة نفيسة بنت سيدي حسن الأنور»

■■■

ذكر المقريزي أنها توفيت في زمن الوالي العباسي لمصر عبيد الله بن السري الذي اهتم بها في حياتها وشيّد قبرها

وأخيراً

في ذكرى «بن سولع» العُماني

محمود الرحبي

تمرّ ذكرى وفاة الكاتب والشّاعر العُماني، علي المعمري، الذي وُلد في 1958 وودّع دنيانا في يناير/ كانون الثاني 2013. حياته تشبه ضحكته، عالية وصاخبة وواسعة، كانت طويلة بينما كان عمره قصيراً. بهذا المعنى، كانت ضحكة علي المعمري تنافس عمره. يزاحم المرح حياته. وكنا نظنّ أن علي أخذ الأدب دعابة، خصوصاً في مجاميعه القصصية الأولى التي يصعب فهمها، وتشبه خطه اليدوي على الورق. لكنْ على الرغم من صعوبة اعتبارها قصصاً بالمعنى المعتاد، فإنّ الكاتب المصري عبد الحكيم حيدر، قال عنها يوماً إنّها الأقرب شبهاً بتيار الوعي الذي أسّسته البريطانية فرجينيا وولف.

أما في رواياته، فقد بدا علي المعمري وكأنّه قطع مع كتابته السابقة، واختطّ لنفسه أسلوباً جديداً، أساسه الجدّية والبحث، بل نراه منقباً في الوثائق السياسية والجغرافية والمكانية، بما يعنيه ذلك من تمحيص وتدقيق، فاستطاع أن يُذيب هذه الوثائق في قالب روائي. وهو ما شهدت به وأكدته المقالات عن رواياته. وأتذكّر، في هذا السياق، حديث الناقد والأكاديمي المغربي، حسن بحراوي، لي بإسهاب عن إعجابه برواية علي المعمري «همس الجسور» التي امتازت بالدّقة، خصوصاً في وصفه المقاهي والأماكن في تركيا، حتى إنّ كاتباً قال عنها إنّها أشبه بدعاية سياحية لهذا البلد، نظراً إلى دقتها في وصف الأحداث والأماكن التي كان يرتادها بعض الكتّاب، مثل أورهان باموق (نوبل 2006) والإسباني أنطونيو غالا، وغيرهما. لقد تحولت كتابة علي المعمري من الدّعابة والمتعة إلى الجدّ والبحث الدؤوب، ولا سيما إذا عرفنا أنّه لكي يكتب «همس الجسور» أقام طويلاً في تركيا. وإذا كانت قد اختيرت ضمن أفضل مائة رواية عربية، في حياة كاتبها، وتُرجمت إلى الفرنسية، فقد كان لرواية علي المعمري الأخيرة «بن سولع» النصيب الأوفر من كتابات النقّاد، وقد سافر الكاتب إلى بريطانيا، للاطلاع على الوثائق المفرج عنها، وتحديداً في كلية الدراسات الشرقية والأفريقية «سواس» للإفادة منها في كتابة هذه الرواية التي كتب عنها الشاعر هلال الحجري أنّ المعمري استطاع فيها «أن يقبض على جمرة التاريخ باقتدار باهر، ما يكشف دراية كاتبها بأسرار تلك المرحلة التاريخية، من جهة، وقدرته على الإمساك بخيوط السّرد من أجل بناء نسيج متماسك، من جهة ثانية. فرغم أنّ عدد صفحاتها يزيد على أربعمائة، فإنّ قارئها لا يدركه الملل رغم ‹جفاف› التاريخ و‹قسوته› في المصادر والوثائق؛ ما يدلّ على أنّ الكاتب نجح في إدارة الوثائق التي اعتمد عليها في صنع رواية مُهمّة وازَنَت بين الفائدة والمتعة».

وكانت ثيمة الصّراع وسيطرة الاستعمار البريطاني على الجزيرة العربية والغطرسة التي مارسها المستعمر هي الغالبةَ على هذا «الأثر» القيّم للراحل، إذ عرض فيه، بأسلوبه (الجاد) العبثَ التاريخي. وقد تحدث عن حيثيات كتابتها في لقاء إذاعي أجراه معه الكاتب والإعلامي سليمان المعمري، إثر فوز هذه الرواية بجائزة الجمعية العُمانية للكتاب والأدباء. لم يُمهل الموت علي المعمري مزيداً من الوقت ليقول كلّ ما لديه، وهو «المفاجئ» لأحبّته، كما عنوان إحدى مجاميعه القصصية «مفاجأة الأحبّة». وأتذكر جيداً لحظة تسميته لها، إذ كنا في مقهى برفقة أصدقاء، وظلّ علي محتاراً في اختيار عنوان مناسب، حين اقترح عليه صديقه الحميم الراحل، عبد الله حمود الوهيبي، في ما يشبه الدّعابة «سمّها مفاجأة الأحبة»، فما كان من المعمري إلّا أن ضحك ضحكته الشاهقة، ووافق على العنوان في الحال.

أمضى علي المعمري الذي شبّهه الشاعر صالح العامري، في بورتريه أعدّه عنه بـ«إرنست همنغواي ولكن من دون بندقية صيد ولا قفازَي ملاكمة» وقتاً طويلاً في حياته متنقلاً بين القاهرة والإسكندرية والرباط، وإن كانت إقامته الأطول في تركيا التي يبدو أنّه خبرَ جيداً تفاصيل الحياة فيها، ما عكسته بوضوح روايته المبدعة «همس الجسور».

> إقامة علي المعمري الأطول كانت في تركيا التي خبرَ تفاصيل الحياة فيها، ما عكسته روايته «همس الجسور»

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**